تفسير إبن كثير

وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ

وهذا إخبار عن حال السعداء المؤمنين حين يساقون على النجائب وفدا إلى الجنة) زمرا) أي : جماعة بعد جماعة : المقربون ، ثم الأبرار ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم كل طائفة مع من يناسبهم : الأنبياء مع الأنبياء والصديقون مع أشكالهم ، والشهداء مع أضرابهم ، والعلماء مع أقرانهم ، وكل صنف مع صنف ، كل زمرة تناسب بعضها بعضا .(حتى إذا جاءوها) أي : وصلوا إلى أبواب الجنة بعد مجاوزة الصراط حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار ، فاقتص لهم مظالم كانت بينهم في الدنيا ، حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة ، وقد ورد في حديث الصور أن المؤمنين إذا انتهوا إلى أبواب الجنة تشاوروا فيمن يستأذن لهم بالدخول ، فيقصدون ، آدم ، ثم نوحا ، ثم إبراهيم ، ثم موسى ، ثم عيسى ، ثم محمدا ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، كما فعلوا في العرصات عند استشفاعهم إلى الله - عز وجل - أن يأتي لفصل القضاء ، ليظهر شرف محمد - صلى

االله عليه وسلم - على سائر البشر في المواطن كلها .وقد ثبت في صحيح مسلم عن أنس - رضي االله عنه - قال : قال رسول االله - صلى االله عليه وسلم - : " أنا أول شفيع في الجنة " وفي لفظ لمسلم : " وأنا أول من يقرع باب الجنة " . .وقال الإمام أحمد : حدثنا هاشم ، حدثنا سليمان ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك ، رضي االله عنه ، قال : قال رسول االله - صلى االله عليه وسلم - : " آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح ، فيقول الخازن : من أنت ؟ فأقول : محمد . قال : يقول : بك أمرت ألا أفتح لأحد قبلك " .ورواه مسلم عن عمرو الناقد وزهير بن حرب ، كلاهما عن أبي النضر هاشم بن القاسم ، عن سليمان - وهو ابن المغيرة القيسي - عن ثابت ، عن أنس ، به .وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول االله - صلى االله عليه وسلم - : " أول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر ، لا يبصقون فيها ، ولا يمتخطون فيها ، ولا يتغوطون فيها . آنيتهم وأمشاطهم الذهب والفضة ، ومجامرهم الألوة ، ورشحهم المسك ، ولكل واحد منهم زوجتان ، يرى مخ ساقهما من وراء اللحم من الحسن . لا اختلاف بينهم ولا تباغض ، قلوبهم على قلب واحد يسبحون االله بكرة

وعشيا " .رواه البخاري عن محمد بن مقاتل ، عن ابن المبارك . ورواه مسلم ، عن محمد بن رافع ، عن عبد الرزاق ، كلاهما عن معمر بإسناده نحوه . وكذا رواه أبو الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة [رضي االله عنه] ، عن رسول االله - صلى االله عليه وسلم - .وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا أبو خيثمة ، حدثنا جرير ، عن عمارة بن القعقاع ، عن أبي زرعة ، عن أبي هريرة [رضي االله عنه] قال : قال رسول االله - صلى االله عليه وسلم - : " أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والذين يلونهم على ضوء أشد كوكب دري في السماء إضاءة ، لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يمتخطون ، أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ، ومجامرهم الألوة ، وأزواجهم الحور العين ، أخلاقهم على خلق رجل واحد ، على صورة أبيهم آدم ، ستون ذراعا في السماء " .وأخرجاه أيضا من حديث جرير .وقال الزهري ، عن سعيد ، عن أبي هريرة - رضي االله عنه - عن رسول االله - صلى االله عليه وسلم - قال : " يدخل الجنة من أمتي زمرة ، هم سبعون ألفا ، تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر " . فقام عكاشة بن محصن فقال : يا رسول االله ادع االله ، أن يجعلني منهم : فقال : " اللهم اجعله منهم " . ثم قام رجل من الأنصار فقال : يا رسول

االله ، ادع االله أن يجعلني منهم . فقال - صلى االله عليه وسلم - : " سبقك بها عكاشة "

.أخرجاه وقد روى هذا الحديث - في السبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب - البخاري

ومسلم ، عن ابن عباس ، وجابر بن عبد االله ، وعمران بن حصين ، وابن مسعود ،

ورفاعة بن عرابة الجهني ، وأم قيس بنت محصن .ولهما عن أبي حازم ، عن سهل بن

سعد ، أن رسول االله - صلى االله عليه وسلم - قال : " ليدخلن الجنة من أمتي سبعون

ألفا - أو : سبعمائة ألف - آخذ بعضهم ببعض ، حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة ،

وجوههم على صورة القمر ليلة البدر " . .وقال أبو بكر بن أبي شيبة : حدثنا إسماعيل بن

عياش ، عن محمد بن زياد قال : سمعت أبا أمامة الباهلي يقول : سمعت رسول االله -

صلى االله عليه وسلم - يقول : وعدني ربي - عز وجل - أن يدخل الجنة من أمتي سبعون

ألفا ، مع كل ألف سبعون ألفا ، ولا حساب عليهم ولا عذاب ، وثلاث حثيات من

حثيات ربي - عز وجل - " .وكذا رواه الوليد بن مسلم ، عن صفوان بن عمرو ، عن

سليم بن عامر [و] أبي اليمان عامر بن عبد االله بن لحي عن أبي أمامة [رضي االله عنه]

.ورواه الطبراني ، عن عتبة بن عبد السلمي : " ثم يشفع كل ألف في سبعين ألفا " .وروي

مثله ، عن ثوبان وأبي سعيد الأنماري ، وله شواهد من وجوه كثيرة .وقوله : (حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين) لم يذكر الجواب هاهنا ، وتقديره : حتى إذا جاءوها ، وكانت هذه الأمور من فتح الأبواب لهم إكراما وتعظيما ، وتلقتهم الملائكة الخزنة بالبشارة والسلام والثناء ، لا كما تلقى الزبانية الكفرة بالتثريب والتأنيب ، فتقديره : إذا كان هذا سعدوا وطابوا ، وسروا وفرحوا ، بقدر كل ما يكون لهم فيه نعيم . وإذا حذف الجواب هاهنا ذهب الذهن كل مذهب في الرجاء والأمل .ومن زعم أن " الواو " في قوله : (وفتحت أبوابها) واو الثمانية ، واستدل به على أن أبواب الجنة ثمانية ، فقد أبعد النجعة وأغرق في النزع . وإنما يستفاد كون أبواب الجنة ثمانية من الأحاديث الصحيحة .قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة قال : قال رسول االله - صلى االله عليه وسلم - : " من أنفق زوجين من ماله في سبيل االله ، دعي من أبواب الجنة ، وللجنة أبواب ، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ، ومن كان من

أهل الصيام دعي من باب الريان " فقال أبو بكر ، رضي االله تعالى عنه : يا رسول االله ، ما على أحد من ضرورة دعي ، من أيها دعي ، فهل يدعى منها كلها أحد يا رسول االله ؟ قال : " نعم ، وأرجو أن تكون منهم " .ورواه البخاري ومسلم ، من حديث الزهري ، بنحوه .وفيهما من حديث أبي حازم سلمة بن دينار ، عن سهل بن سعد أن رسول االله - صلى االله عليه وسلم - قال : " إن في الجنة ثمانية أبواب ، باب منها يسمى الريان ، لا يدخله إلا الصائمون " .وفي صحيح مسلم ، عن عمر بن الخطاب - رضي االله عنه - قال : قال رسول االله - صلى االله عليه وسلم - : " ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ - أو : فيسبغ الوضوء - ثم يقول : أشهد أن لا إله إلا االله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية ، يدخل من أيها شاء " . .وقال الحسن بن عرفة : حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن عبد االله بن عبد الرحمن بن أبي حسين ، عن شهر بن حوشب ، عن معاذ - رضي االله عنه - قال : قال رسول االله - صلى االله عليه وسلم - : " مفتاح الجنة : لا إله إلا االله " .ذكر سعة أبواب الجنة - نسأل االله العظيم من فضله أن يجعلنا من أهلها - :في الصحيحين من حديث أبي زرعة ، عن أبي هريرة [رضي االله عنه] في حديث الشفاعة

الطويل : " فيقول االله يا محمد ، أدخل من لا حساب عليه .من أمتك من الباب الأيمن ، وهم شركاء الناس في الأبواب الأخر . والذي نفس محمد بيده ، إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة - ما بين عضادتي الباب - لكما بين مكة وهجر - أو هجر ومكة " .

وفي رواية : " مكة وبصرى " .وفي صحيح مسلم ، عن عتبة بن غزوان أنه خطبهم خطبة فقال فيها : " ولقد ذكر لنا أن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة ، مسيرة أربعين سنة ، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام " .وفي المسند عن حكيم بن معاوية ، عن أبيه ، عن رسول االله - صلى االله عليه وسلم - مثله .وقال عبد بن حميد : حدثنا الحسن بن موسى ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا دراج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد ، عن رسول االله - صلى االله عليه وسلم - قال : " إن ما بين مصراعين في الجنة مسيرة أربعين سنة " .وقوله : (وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم) أي : طابت أعمالكم وأقوالكم ، وطاب سعيكم فطاب جزاؤكم ، كما أمر رسول االله - صلى االله عليه وسلم - أن ينادى بين المسلمين في بعض الغزوات : " إن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة " وفي رواية : " مؤمنة " .

.وقوله : (فادخلوها خالدين) أي : ماكثين فيها أبدا ، لا يبغون عنها حولا .